دعم اجتماعي واختلافات ثقافية: منظور أصلي لعلاج اضطرابات الأكل

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

مايو 4, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). دعم اجتماعي واختلافات ثقافية: منظور أصلي لعلاج اضطرابات الأكل. عرب سايكلوجي. تم الاسترجاع من https://arabpsychology.com/?p=121186

ARABPSYCHOLOGY.COM

هل يمكن للشفاء أن يكمن في جذورنا؟ نظرة جديدة على الدعم الاجتماعي في علاج اضطرابات الأكل من منظور السكان الأصليين

أتعرفون ذلك الشعور بالضياع، ذلك الفراغ الذي لا يملؤه الطعام ولا أي شيء آخر؟ إنه صدى أعمق، صدى لفقدان الصلة، بفقدان الانتماء. هذا ما عبر عنه العديد من المعالجين والمصابين باضطرابات الأكل من السكان الأصليين الذين تحدثت إليهم. إنه ليس مجرد صراع مع الطعام، بل هو صراع مع الهوية، مع التاريخ، مع الأرض. هذا ما دفعني للبحث عن فهم أعمق للدعم الاجتماعي، ليس كما نعرفه في النماذج العلاجية الغربية، بل كما يراه السكان الأصليون أنفسهم.

الإطار النظري

لطالما اعتمدت العلاجات النفسية، وخاصة تلك المتعلقة باضطرابات الأكل، على نظريات مثل العلاج السلوكي المعرفي (CBT) والعلاج الديناميكي النفسي. يركز العلاج السلوكي المعرفي على تغيير الأنماط السلبية في التفكير والسلوك، بينما يستكشف العلاج الديناميكي النفسي الصراعات اللاواعية التي قد تكمن وراء المشكلة. ومع ذلك، غالبًا ما تفشل هذه النماذج في التقاط التعقيد الثقافي والروحي الذي يحيط باضطرابات الأكل في سياقات السكان الأصليين. إن مفهوم الدعم الاجتماعي، على وجه الخصوص، غالبًا ما يتم اختزاله إلى العلاقات المباشرة مع العائلة والأصدقاء، متجاهلاً الشبكات الأوسع من العلاقات التي تعتبرها العديد من ثقافات السكان الأصليين ضرورية للرفاهية. هنا، يبرز مفهوم "الشمولية" (Holism) كإطار نظري أساسي. فالشمولية ترى أن الفرد ليس كيانًا منفصلاً، بل جزء لا يتجزأ من شبكة معقدة من العلاقات مع الآخرين، والطبيعة، والروحانيات. كما أن مفهوم "المرونة" (Resilience) يلعب دورًا هامًا، حيث أن قدرة المجتمعات الأصلية على التكيف والبقاء في مواجهة الصدمات التاريخية والظلم المستمر تشير إلى مصادر قوة داخلية تتجاوز النماذج العلاجية التقليدية. إن البحث الذي أجرته ماري بلانت (Plante, M.) يهدف إلى سد هذه الفجوة، من خلال استكشاف الدعم الاجتماعي من خلال وجهات نظر عالمية أصلية.

المنهجية

اعتمدت بلانت على منهج بحثي أصلي، وهو نهج يضع السكان الأصليين في قلب عملية البحث. بدلاً من تطبيق أدوات وتقنيات بحثية غربية، تم تصميم الدراسة لتكون متوافقة مع طرق المعرفة التقليدية. تضمنت الدراسة مجموعتين من المشاركين: معالجان أصليان شاركا في حلقة نقاش (focus group)، ومعالج أصلي آخر شارك في محادثة فردية منظمة. تم تسهيل كل من حلقة النقاش والمحادثة الفردية من قبل بلانت نفسها، وهي باحثة أصلية. هذا التسهيل من قبل باحثة أصلية أمر بالغ الأهمية، لأنه يسمح ببناء الثقة والتواصل الفعال، ويضمن أن يتم سماع أصوات المشاركين وفهمها بشكل صحيح. تم تحليل البيانات باستخدام "الوصف النوعي" (Qualitative Description)، وهي طريقة تحليلية تهدف إلى تقديم وصف مفصل ودقيق لتجارب المشاركين، دون محاولة فرض تفسيرات نظرية مسبقة. يشبه الأمر تجميع قطع الأحجية، حيث يتم تجميع الأجزاء الصغيرة من المعلومات معًا لتكوين صورة أكبر وأكثر اكتمالاً. لم يكن الهدف هو إثبات فرضية معينة، بل هو فهم كيف يرى المعالجون الأصليون الدعم الاجتماعي وكيف يمكن استخدامه في علاج اضطرابات الأكل.

النتائج

أظهر التحليل النوعي لبيانات الدراسة موضوعين رئيسيين مترابطين يعكسان تصورات مترابطة للدعم الاجتماعي من وجهات نظر السكان الأصليين، ذات صلة بالعمل مع السكان الأصليين الذين يعانون من اضطرابات الأكل. الموضوع الأول هو "واهكوتوين" (Wahkotowin)، وهي كلمة من لغة الكري تعني "العلاقات بين جميع الأشياء". يشير هذا المفهوم

إلى أن كل شيء في الكون مترابط، وأن صحة الفرد تعتمد على صحة هذه العلاقات. وهذا يشمل العلاقات مع العائلة والأصدقاء والمجتمع، ولكن أيضًا مع الأسلاف والأرض وجميع الكائنات الحية. إنها شبكة معقدة من الترابط، حيث يؤثر كل جزء على الكل. الموضوع الثاني هو "الأرض كدعم وإعادة اتصال". تعتبر الأرض في العديد من ثقافات السكان الأصليين ليست مجرد مصدر للغذاء والموارد، بل هي كيان حي، ومصدر للروحانية والقوة. إن الاتصال بالأرض يمكن أن يوفر شعوراً بالانتماء والهدف، ويمكن أن يساعد في شفاء الصدمات التاريخية. تخيلوا شجرة عميقة الجذور، تمتد جذورها في الأرض وتتغذى من مواردها. هذه الشجرة تمثل الفرد، والأرض تمثل مصدر قوته ودعمه. عندما يتم قطع هذه الجذور، تبدأ الشجرة في الذبول، وعندما يتم إعادة توصيلها، تستعيد قوتها وتزدهر.

التأثيرات

هذه النتائج لها آثار عميقة على كيفية فهمنا وعلاج اضطرابات الأكل في سياقات السكان الأصليين. إنها تتجاوز النماذج العلاجية التقليدية التي تركز على الفرد، وتدعو إلى نهج أكثر شمولية يأخذ في الاعتبار السياق الثقافي والروحي والاجتماعي. بالنسبة للمعالجين، هذا يعني أنهم بحاجة إلى أن يكونوا على دراية بتاريخ وثقافة السكان الأصليين، وأن يكونوا قادرين على بناء علاقات ثقة مع مرضاهم. كما يعني أيضًا أنهم بحاجة إلى أن يكونوا منفتحين على دمج طرق الشفاء التقليدية في علاجهم، مثل الطقوس والاحتفالات والاتصال بالأرض. بالنسبة للمرضى، هذا يعني أنهم بحاجة إلى الشعور بالتمكين والقدرة على التحكم في رحلة شفائهم. كما يعني أيضًا أنهم بحاجة إلى الحصول على الدعم من مجتمعهم، وأن يكونوا قادرين على إعادة الاتصال بثقافتهم وتاريخهم. بالنسبة للجمهور العام، هذا يعني أننا بحاجة إلى تحدي الصور النمطية السلبية عن السكان الأصليين، وأن ندرك أهمية الحفاظ على ثقافتهم وتراثهم. إن فهم هذه المفاهيم يتطلب تحولاً في طريقة تفكيرنا، من رؤية الفرد ككيان منفصل إلى رؤيته كجزء من شبكة أكبر من العلاقات. إنها دعوة للعودة إلى جذورنا، وإلى إعادة الاتصال بالطبيعة وبالروحانيات وبالآخرين.

السياق الثقافي العربي

عند مقارنة هذه النتائج بالسياق الثقافي العربي، نجد أوجه تشابه واختلاف مثيرة للاهتمام. ففي العديد من المجتمعات العربية، تلعب العائلة والمجتمع دورًا مركزيًا في حياة الفرد، ويُنظر إلى الدعم الاجتماعي على أنه مسؤولية جماعية. كما أن هناك تقديرًا كبيرًا للأسلاف والتاريخ، ويُنظر إلى الحفاظ على التراث الثقافي على أنه أمر ضروري للرفاهية. ومع ذلك، هناك أيضًا بعض الاختلافات الهامة. ففي حين أن الاتصال بالأرض قد يكون أقل وضوحًا في بعض المجتمعات العربية الحضرية، إلا أنه لا يزال موجودًا في المجتمعات الريفية والقبلية. كما أن هناك اختلافات في كيفية التعبير عن المشاعر والتعامل مع الصدمات، حيث قد تكون هناك وصمة عار مرتبطة بالصحة النفسية. بالإضافة إلى ذلك، فإن السياق السياسي والاجتماعي والاقتصادي في العالم العربي يضيف طبقة أخرى من التعقيد. فالنزاعات والحروب والفقر والبطالة يمكن أن تؤثر بشكل كبير على الصحة النفسية للأفراد والمجتمعات. لذلك، عند تطبيق هذه النتائج على السياق العربي، من المهم أن نكون حساسين لهذه الاختلافات، وأن نأخذ في الاعتبار الظروف المحلية. على سبيل المثال، قد يكون من الضروري التركيز على بناء علاقات ثقة مع المرضى وعائلاتهم، وتوفير الدعم النفسي والاجتماعي المناسب، ودمج طرق الشفاء التقليدية في العلاج.

آفاق مستقبلية وقيود

هذا البحث يمثل خطوة أولى مهمة في فهم الدعم الاجتماعي من منظور السكان الأصليين. ومع ذلك، هناك حاجة إلى مزيد من البحث لاستكشاف هذه المفاهيم بشكل أعمق. يمكن إجراء دراسات مستقبلية باستخدام

ARABPSYCHOLOGY.COM

Recommended Academic Training

:Deepen your knowledge with these specialized courses from our Academy

أخلاقيات مهنة التعليمView Course → اصول التربية والتعليمView Course → التربية البيئية والتنمية المستدامةView Course →

Reference

Plante M. (2026). *Exploring* social support *for eating disorders in* Indigenous *contexts*. Journal of Eating Disorders, 14(1).

DOI: 10.1186/s40337-026-01574-1

ARABPSYCHOLOGY.COM